الفصل الأول
الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح

1 - الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي... وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايع القوم صاروا شيعاً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى:{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾} [سبأ: 54]. أي بأمثالهم من الأمم الماضية [1].

وجاء في المصباح المنير: والشيعة الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبراً - أي وصفاً - جماعة مخصوصة والجمع شيع مثل: سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع، وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها [2].

فالشيعة من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى:{وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾} [القصص: 15]، وقوله تعالى:{۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾} [الصافات: 83]، فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

2 - تعريف الشيعة في الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان الصدر الأول لا يسمي شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان [3]، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان، فعلى هذا

---

(1) الصحاح للجوهري، ولسان العرب، مادة شيع.
(2) المصباح المنير، مادة شيع.
(3) أصول الشيعة الإمامية (64/1).

يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط [1]. ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد عليّ كانوا يفضلون أبا بكر وعمر [2]، وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالتشيع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر، وذلك لمخالفته لما تواتر عن على في ذلك.

والتشيع يعنى المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة [3]، وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن [4] وهم يقولون: ولا والله ما أدري ما يقولون. قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها [5]، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل اسشهاده بثلاث سنين، وعمر حتى توفي سنة 127هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية. ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها [6]، وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً [7].

وذكر صاحب مختصر التحفة: أن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه عن المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من

---

(1) فتاوى ابن تيمية (153/3)، فتح الباري (34/7).
(2) منهاج السنة (60/2).
(3) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (65/1).
(4) المنتقى ص360.
(5) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب (63/8)، الخلاصة ص291.
(6) حاشية المنتقى، ص360، 361.
(7) المنتقى، ص360، 361.

الفضل محله، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن إكفاره وسبه [1]، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين... ولهذا نسمي الطاعنين على الشيخين الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع [2]، ومن عرف التطور العقدى لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السنة، لأن للتشيع فى زمن السلف مفهوماً وتعريفاً غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة. ولهذا قال الذهبى فى معرض الحديث عمن رمى ببدعة التشيع: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير فى التابعين، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضاً، فما أستحضر الآن فى هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله، حاشا وكلا، فالشيعى الغالى فى زمان السلف وعرفهم هو من تكلم فى عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً رضى الله عنه وتعرض لسبهم، والغالى فى زمننا وعرفنا هو الذى يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر [3].

إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة فى معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول فى التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع على.. إلخ.

وهذا يؤدى إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، هذه النتيجة أن يكون على شيعياً يرى ما يراه الشيعة، وعلى رضى الله عنه برىء مما تعتقده الشيعة فيه وفى بنيه ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز فى التعريف رفعاً للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون

---

(1) مختصر التحفة الاثنى عشرية، ص3.
(2) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (66/1، 67).
(3) ميزان الاعتدال للذهبى 1 /5، 6، لسان الميزان (1 / 9، 10).

اتباع على، حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون [1]، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلى، أو الرافضة، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الرافضة المنسوبون إلى شيعة على [2]، فهم أيضا ليسوا على منهج شيعة على المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة [3].

3 - الرفض فى اللغة:

هو: الترك، يقال رفضت الشيء: أى تركته [4]، فالرفض فى اللغة معناه الترك والتخلى عن الشيء.

4 - الرافضة فى الاصطلاح:

هى: إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبى بكر وعمر وسائر أصحاب النبى ﷺ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم [5]، قال الإمام أحمد رحمه الله: الرافضة: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم [6]. وقال عبد الله بن أحمد - رحمه الله : سألت أبى عن الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون أو يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما [7].

وقال أبو القاسم التيمى المعروف بقوام السنة فى تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ورضى عن محبيهما [8]، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبى بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم، قاتلهم الله [9].

يقول ابن تيمية رحمه الله: فأبو بكر وعمر رضى الله عنهما أبغضتهما الرافضة

---

(1) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (1 / 68).
(2) منهاج السنة (2 / 106).
(3) أصول الشيعة الإمامية الاثنى عشرية (1 / 69).
(4) القاموس المحيط للفيروز آبادى (2 / 332)، مقاييس اللغة (2 / 422).
(5) الانتصار للصحب والآل، ص 25.
(6) طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى (1 / 33).
(7) السنة للخلال رقم (777)، وقال المحقق: إسناده صحيح.
(8) الحجة فى بيان المحجة (2 / 478).
(9) الانتصار للصحب والآل، ص 26.

ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف [1]، وقد جاء فى كتب الرافضة ما يشهد لهذا، وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهما من عدمهما هو الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدرازى عن محمد بن على بن موسى قال: كتبت إلى على بن محمد عليه السلام[2] عن الناصب هل يحتاج فى امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت [3]، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب [4].

5 - سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة، لرفضهم زيد بن على وتفرقهم عنه بعد أن كانوا فى جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، فى سنة إحدى وعشرين ومئة، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك. يقول أبو الحسن الأشعرى: وما كان زيد بن على يفضل على بن أبى طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر فى الكوفة فى أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن فى أبى بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتمونى [5]، فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتمونى، وبهذا القول قال قوام السنة [6]، والرازى [7]، والشهرستانى [8]، وابن تيمية [9]رحمهم الله.

وذهب الأشعرى فى قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبى بكر وعمر [10].

---

(1) مجموع الفتاوى (4 / 435).
(2) هو أحد الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية، وفيات الأعيان (3 / 272).
(3) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كما جاء ذلك فى تفسير العياشى (1 / 246)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[النساء: 51].
(4) المحاسن النفسانية لمحمد آل عصفور الدرازى، ص 145.
(5) مقالات الإسلاميين (1 / 37).
(6) الحجة في بيان المحجة (478/2).
(7) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص52.
(8) الملل والنحل (155/1).
(9) منهاج السنة (8/1)، مجموع الفتاوى (36/13).
(10) مقالات الإسلاميين (89/1).

6 - رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التى ألصقها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم عليا رضى الله عنه فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام [1]، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة أن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايع علياً رضي الله عنه [2].

وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

(أ) **غالية**: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الإلهية أو النبوة.

(ب) **ورافضـــة**: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

(جـــ) **وزيدية**: وهم أتباع زيد بن علي، الذين كانوا يفضلون علياً على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر [3]. فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح، لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية [4]، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه ومن بعدهم، فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين على عليّ رضي الله عنه، وإنما يرون تفضيل عليّ على عثمان، هؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل.

ويقول ابن تيمية رحمه الله:

ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان [5].

ولذا فإن تسمية " الرافضة " بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها

---

(1) أعيان الشيعة (20/1).
(2) مقالات الإسلاميين (65/1)، الملل والنحل للشهرستانى (144/1).
(3) المصدر نفسه (37/1، 66، 88)، المصدر نفسه (25/1).
(4) الانتصار للصحب والآل، ص29.
(5) منهاج السنة (13/1).

بعض المعاصرين، تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم [1].

وعليه فإن من الواجب أن يسمي هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق، لما في ذلك من اللبس والإيهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح " التشيع "، فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة، كأن يقال "الشيعة الإمامية "، أو " الشيعة الاثني عشرية " على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم [2]، والله تعالى أعلم.

* * *

(1) الانتصار للصحب والآل، ص30.
(2) المصدر نفسه، ص32.